مسيحيّة الحيرة حتّى نشأة الإسلام

الأب صلاح أبو جوده اليسوعيّ*

مقدّمة

أردنا، في هذه الرسالة الوجيزة، أن نرسم لوحة عن المسيحيّة في مدينة الحيرة حتّى نشأة الإسلام، فحاولنا أن نتبيّن ظروف دخول المسيحيّة تلك المنطقة من الشرق، على قدر ما سمحت لنا به المراجع والمصادر التاريخيّة المتوفّرة، والدراسات الحديثة. ولم نتوقّف في سعينا عند الناحية الدينيّة فقط، بل تناولنا معها الأحوال السياسيّة والعسكريّة. فتداخل تلك العوامل مع العامل الدينيّ طالما كان سببًا مباشرًا في انتشار المسيحيّة ومن ثمّ انحصارها في شرقنا. ونظرًا إلى ضيق الوقت، لم نتعرّض لتنظيم الحياة الدينيّة ولا لما اتّصل بها من تقاليد وطقوس وقرارات مجمعيّة. لربّما كان ذلك موضوع بحث آخر نجريه لاحقًا.

(*) باحث. معهد الدراسات الإسلاميّة والمسيحيّة (جامعة القدّيس يوسف، بيروت).

لائحة المختصرات

أ – الكتب والمقالات الأجنبية

Aigrain, *Arabie* (1922) = R. Aigrain, «Arabie», in: D.H.G.E., t. III (1922).

Assemani, *Bibl. Or.* Assemani, *Bibliotheca Orientalis*, 3 tomes (Rome: 1721-1728).

Chabot, *Syn. Or.* = Chabot (Ed.), *Synodicon orientale*, in: *Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale*, t. XXXVII (Paris: 1902).

Charles, *Christianisme des arabes* (1936) = H. Charles, *Le christianisme des arabes nomades sur le limes et dans le désert syro-mésapotamien*, (Paris: 1936).

Labourt, *Christianisme* (1904) = Labourt, *Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*, (Bibliothèque de l'Enseignement de l'Histoire ecclésiastique, Paris: 1904).

Le Quien, *Oriens* = Le Quien, *Oriens Christianus*, t. II, (2 éd. Graz: 1958).

Nau, *Arabes chrétiens* (1904) = François Nau, *Les arabes chrétiens de Mésopotamie et de Syrie du VIIe au VIIIe siècle*, «Cahiers de la Société Asiatique», I, (Paris: 1933).

Rothstien, *Lahmiden* (1899) = Rothstien, *Die Dynastie der Lahmiden in al-hira* (Berlin: 1899).

Scher, *Histoire nestorienne* = A. Scher, «*Histoire nestorienne inédite (chronique de Se'ert)*, *in:* Patr. Or.

Shahid, *Byzantium* (1984) = Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century* (Dumbarton Oaks, Washington: 1984).

Trimingham, *Christianity* (1990) = J.S. Trimingham, *Christianity among Arabs in Pre-Islamic Times* (Librairie du Liban, Beyrouth: 1990).

ب - الكتب العربيّة

الأصفهاني، الأغاني = أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، (طبعة القاهرة: ١٩٢٧).

البلاذري، فتوح = البلاذري، فتوح البلدان، (طبعة دي كويه، لايدن: ١٨٦٣-١٨٦٦).

الطبري، تاريخ = الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (طبعة دار المعارف بمصر، القاهرة: ١٩٦٠-١٩٦١).

المسعودي، مروج = المسعودي، مروج الذهب، (طبعة دي مينار ودي كورتيه، باريس: ١٨٦٤).

ياقوت، معجم = ياقوت الحموي، معجم البلدان، (طبعة دار صادر، بيروت: ١٩٥٦).

ج - المجموعات

C.S.C.O. = *Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium* (Louvain: 1903 ss).

D.H.G.E. = *Dictionnaire d'histoire et de géographie ecclésiastique.*

E.I.2 = *Encyclopaedia of Islam*, 2nd edition (Leiden, Brill).

P.G. = J.P. Migne, éd., *Patrologia Graeca.*

Patr. Or. = *Patrologia Orientalis.*

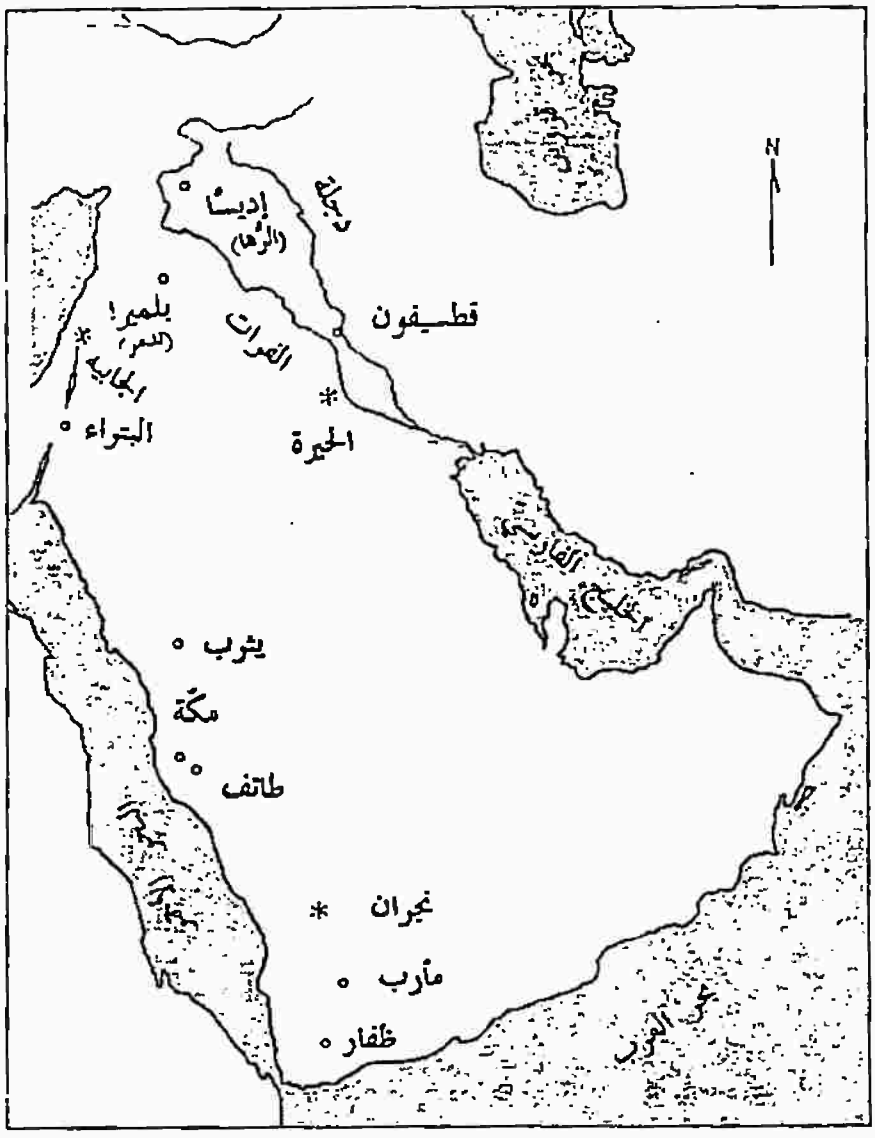

تبيّن هذه الخارطة مدن القوافل الرئيسيّة في غرب شبه الجزيرة العربيّة وبلاد ما بين النهرين قبل نشأة الإسلام. ونرى فيها المراكز المسيحيّة العربيّة الثلاثة الرئيسيّة: الحيرة (اللخميّون)، والجابيه (الغساسنة)، ونجران (بنو حارث).

Source: Shahid, *Byzantium* (1984).

١ . بداية المسيحيّة في الحيرة

تبعًا للتقاليد، دخلت المسيحيّةُ الحيرةَ[١] وبلادَ ما بين النهرَين على عهد ملك الحيرة امرؤ القيس الأوّل اللخميّ[٢]، الذي حكم من ٢٨٨ إلى ٣٢٨. غير أنّ وثائق قديمة أهمّها الروايات عن القدّيسين أدّاي وماري[٣]، تفيد أنّ تلك الأصقاع عرفت المسيحيّة في منتصف القرن الثاني، ولربّما في أواخر القرن الأوّل. ويجب ألّا نستبعد تأثّر سكّان الحيرة العرب بالمسيحيّة التي انتشرت في بابل[٤] وحتّى في بلاد فارس، على الرغم من اضطهاد ملوك الساسانيّين المسيحيّين[٥]. فمنذ عهد مؤسّس السلالة

---

(١) إنّ كلمة «الحيرة» قريبة من الكلمة السريانيّة «حِرْتا»، وتعني مضربَ الخيام. لا نجد لفظة «حيرة» في اللغة العربيّة التقليديّة، ولكنّ الروايات الأسطوريّة حول نشأة المدينة، التي يلخّصها ياقوت (معجم، ص ٣٢٨-٣٣١)، تفيد المعنى الذي ذكرناه. لن نتطرّق في هذه الدراسة لا إلى أصل مدينة الحيرة، ولا إلى سلالات ملوكها، إلّا بقدر ما يتّصل الأمر بموضوعنا. راجع في شأن اسم «الحيرة»:
Beeston, in: *E.I.2*, vol. III (1971), p. 478-479; Shahid, *Byzantium* (1984), p. 490-498.

(٢) مؤسّس السلالة اللخميّة هو عمر بن عدي (الربع الأخير من القرن الثالث)، وابن أخ الملك جُذَيْمة. وعدي هو مَن اتّخذ من الحيرة عاصمة، وانطلق منها في حملات في شبه الجزيرة العربيّة. خلفه ابنه امرؤ القيس الذي حمل لقب «ملك جميع العرب». كانت أمّ امرؤ القيس أزديّة، وزوجته، والدة عمر، أميرة غسّانيّة. راجع: المسعودي، مروج، ج ٣، ص ١٩٩. راجع في شأن السلالة اللخميّة:
Irfan Shahid, in: *E.I.2*, vol. V, p. 636-638.

(٣) راجع:
Eusèbe, *Histoire ecclésiastique*, 1.13, in: P.G., cf. Murphy, in: *New Catholic Encyclopaedia*, t. I, p. 123; H. Rahner, in: *Lexicon für Theologie und Kirche2*, t. I, p. 136.

(٤) كان في بابل، ابتداءً من أواخر القرن الثالث، أسرى مسيحيّون أُعتقلوا في أراضي الإمبراطوريّة الرومانيّة إبّان حكم هُرمُز الأوّل الساساني (٢٧١-٢٧٣). ونظرًا إلى مجاورة بابل والحيرة، لم تتأخّر المسيحيّة بالوصول إلى هذه. راجع:
Labourt, *Christianisme* (1904), p. 19; Le Quien, *Oriens* (1958), t. II, col. 1078.

(٥) تشهدُ أعمالُ الشهداء الفرس وتاريخُ كنيسة فارس والمدائن (أي سلوقية وقطيفون) أنّ المسيحيّة انتشرت في تلك البلاد، على الرغم من اضطهاد الساسانيّين. لذا، من غير المستبعد أن تكون الحيرة عرفت انتشارًا مسيحيًّا انطلاقًا من بلاد فارس. راجع:
Sozomen, *Histoire ecclésiastique*, 2. 9-14; cf. *New Catholic Encyclopaedia*, t. XI, p. 148.

الساسانيّة أردشير (٢٤١-٢٦٦)، كان في الحيرة مسيحيّون أُطلق عليهم اسمَ «عباد»[٦].

لم يكن امرؤ القيس الأوّل مسيحيًّا، والآثار المتوفّرة، ولا سيّما نقش قبر الملك في النمّارة[٧]، لا تأتي على ذكر الأوضاع الدينيّة في

---

(٦) يمكن تصنيف سكّان الحيرة، في زمن أردشير، إلى فئات ثلاث: أوّلًا، التنوخيّون، وهم عرب انتموا إلى قبائل عديدة قبل أن ينصهروا ليؤلّفوا القبيلة التي حملت اسمهم، ويؤسّسوا مدينة الخيرة. ثانيًا، العباد، وهي لفظة تعني المسيحيّين (عباد الربّ أو عباد المسيح) من سكّان الحيرة الذين انتموا إلى قبائل متعدّدة، منها تميم ولخم وأزد وغيرها. وتبعًا للطبري، أُطلق عليهم اسم العباد لكي يُميّزوا عن الوثنيّين. ثالثًا، جماعات من قبائل عربيّة متنوّعة قصدوا الحيرة لأكثر من سبب، ربّما أهمّها البحث عن مورد رزق في منطقة اشتهرت بخصب أرضها. راجع: طبري، تاريخ، ج ١، ص ٦٠٩-٦٢٨.

(٧) يمثّل نقش النمّارة (تقع بين البصرة ودمشق) المحفوظ في متحف اللوفر، الذي اكتشفه Macler et Dussaud، ونُقش بالحرف النبطيّ عام ٣٢٨، مرجعًا تاريخيًّا قيّمًا. جاء فيه: «هذا هو قبر امرؤ القيس بن عمر، ملك جميع العرب، الذي عصب التاج، وأخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهما، الذي شتّت محدج MHDJ إلى اليوم، الذي انتصر في حصار نجران مدينة شمّار، الذي أخضع قبيلة معاد، الذي أوكل إلى أبنائه القبائل ونظّم هذه خيّالة للرومان. لم يبلغ ملك مجده إلى هذا اليوم. توفّي عام ٢٢٣، في اليوم السابع لكسلول. لتسدّ السعادةُ ذريّته»، راجع: Shahid, *Byzantium* (1984), p. 31-32

قد يُطرح السؤال عن السبب الذي جعل ملكًا من حلفاء الفرس يُدفن في النمّارة الواقعة في الأراضي الرومانيّة؟ يرى هشام بن الكلبي أنّ السبب هو اعتناق امرؤ القيس المسيحيّة (الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٣). ولكنّ هذا الاحتمال ضعيف لأنّ النقش لا يحمل أيّة إشارة مسيحيّة، كما نفتقر إلى أيّ دليل تاريخيّ جازم حول هذا الشأن. ولعلّ السبب الذي حدا بامرئ القيس إلى تغيير سياسته تجاه الفرس هو نزاعه مع الملك شابور الذي لم يعتبر مقام أمير الحيرة في غزواته التي طالت عرب الجزيرة. راجع: Shahid, *Byzantium* (1984), p. 34

كما يقدّم شبيد (المرجع نفسه، ص ٣٢-٤٥) تحليلًا وافيًا لهذا النقش.

من مكان آخر، يسمح هذا النقش بأن ندقّق في صحّة المعلومات عن سلالة اللخميّين التي نقلها الطبري عن هشام بن الكلبيّ، الذي أحصى من موت امرؤ القيس بن عمر إلى موت النعمان الأوّل بن امرؤ القيس تسعين سنة. فموت النعمان كان حوالى ٤١٨. وفي الحقبة التي فصلت بين وفاة الرجلين، مَلَكَ: عمر بن امرؤ القيس (٣٢٨-٣٥٨)، ودخيل على السلالة هو أوس بن قلّام العماليقيّ، اغتصب العرش ودام حكمه حتّى حوالى العام ٣٨٠. ثمّ عادت السلالة اللخميّة إلى الحكم مع امرؤ=

الحيرة. ولكن من المؤكّد أنّ الملك المذكور حافظ على الرعايا المسيحيّين في منطقة حكمه.

وفي زمن الجاثُليق تومَرصَه (٣٦٣-٣٧١)، شُيّد دير مار عبديشوع النسطوريّ، الذي يقع على بعد ثلاثة أميال من الحيرة[٨]، ولعلّه أقدم دير نسطوريّ في تلك النواحي. على أنّ هنالك مَن يعتقد أنّ المدعوّ يونان،

=الفيس الثاني، الذي دُعي «البدء» أو «الأوّل»، بما أنّه مؤسّس السلالة الثانية (٣٨٠-٣٨٨ أو ٤٠٥)، وخلفه ابنه النعمان الأوّل الذي كان يُكنّى بـ«الأعور» و«الأكبر» (٣٨٨ أو ٤٠٥-٤١٨). راجع في شأن أسباب الاختلافات في تحديد بعض التواريخ:

Trimingham, *Christianity* (1990), p. 158; Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1221.

(٨) راجع: Trimingham, *Christianity* (1990), p. 189

يذكر إغران، مستندًا إلى السمعاني، أنّ الدير أسّسه أحد تلاميذ مار عبدا في ظلّ حكم النعمان. راجع: Assemani, *Bibl. Or.*, t. III b, p. 60, 598, 870-871; cf. Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1223.

غير أنّ رأي ترمينغهام هو الأصوب في نظرنا بسبب عدم الوضوح في تحديد تاريخ وصول النعمان إلى الحكم. من ناحية أخرى، من المحتمل أن يكون رؤساء هذا الدير قد حملوا جميعًا لقب «أسقف». أمّا في شأن عبديشوع، فأصله من ميزين Méséne. وثمّة رواية خرافيّة تفيد أنّه كان يدرس في دير قُوني، وذهب في أحد المرّات إلى نهر دجلة ليستقي، فالتقى هنالك بعض النسوة اللواتي استحلفنه لكي يملأ أجرارهنّ، ففعل. وعندما اتُّهم بأنّه تأخّر في العودة إلى الدير، روى لرئيسه ما حدث، فأمره هذا أن يدخل أتونًا ملتهبًا. فرسم الطوباويّ عبديشوع إشارة الصليب على جسمه وعلى اللهيب، ودخلَ النار على مرأى من جميع إخوته. فخمدت اللهب للوقت، ولم تمسّ حتّى ثيابه. ولكيما يتحاشى اعتبار إخوته له أنّه استحقّ تلك المعجزة، هرب ليلًا. ثمّ شيّد ديرَين وأهدى الكثيرين إلى الإيمان. وحينما كان يُكرم في مكان، كان يهرب منه إلى مكان آخر. ورسمه الجاثُليق تومرصَه أسقفًا، ولكنّه هرب في الليل قاصدًا جزيرة في البحرين حيث عاش متوحّدًا وعمّد السكّان وشيّد ديرًا. وفي أحد الأيّام طرد شيطانًا وحكم عليه أن يحمل حجرًا إلى صحراء أبناء إسماعيل. فنفّذ الشيطان الأمر وعاد يقول للقدّيس: «حملت الحجر إلى المكان الذي عيّنته لي، ووضعته على بعد ثلاثة أميال من مدينة الحيرة التي تقع على مدخل الصحراء». وفي الليلة اللاّحقة، شاهد القدّيس رؤية أمرته أن يذهب إلى الحيرة ليبني ديرًا في المكان الذي وُضع فيه الحجر، فذهب. راجع:

Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 39-40.

لا شكّ أنّ الحجر المشار إليه يشير إلى العادة القبليّة القديمة التي كانت تقتضي برضع حجر أو مسلّة يُسكب عليها زيت في الأماكن المقدّسة. راجع: تكوين ١٣/١٨، و٢١/٣٣، و٢٨/١٠-٢٢، إلخ.

ربّما كان تلميذ مار أوجينُس، أسّس ديرًا في أنبار إبّان عهد البطريرك بريشمين الذي توفّي عام ٣٤٦[٩]. إنّ وجود دير يحمل اسم يونان في أنبار أمر مؤكّد، ولكنّ تأسيسه تمّ حوالى ٥٤٠ على يد مسيحيّ من الحيرة اسمه عبد المشيح[١٠].

٢. المسيحيّة في ظلّ حكم النعمان الأوّل (٣٨٨ أو ٤٠٥-٤١٨)

في ظلّ حكم النعمان الأوّل، كان في الحيرة، عام ٤١٠، أسقف اسمه هوشع، شارك في أعمال مجمع سلوقية الذي أسّس علنيًّا الكنيسة النسطوريّة ونظّمها. وقد وقّع الأسقف المذكور على وثائق المجمع. غير أنّ أبرشيّته لم تُدرج في لائحة الأبرشيّات التي أعاد المجمع تقسيمها[١١].

أمّا النعمان الأوّل، فقد أظهر سياسة حذرة تجاه المسيحيّين في البدء، ثمّ أبدى تعاطفه معهم، وأذن لهم في بناء الكنائس، بل لعلّه ساهم هو نفسه في بناء كنيسة في الحيرة عام ٤١٣. وتبعًا لإحدى الروايات الأسطوريّة، بدّل الملكُ مرقفه نتيجة ترائي القدّيس سمعان العموديّ له في أعتاب منعه مواطنيه المسيحيّين من الحجّ إلى عمود القدّيس، فيحول دون اتّصالهم بالرومان، أعداء حلفائه الفرس[١٢]. مهما يكن من أمر صحّة هذه

(٩) راجع:
Assemani, *Bibl. Or.*, t. III, p. 866-867; Labourt, *Christianisme* (1904), p. 306.

(١٠) على خلاف ما اعتقده بعضهم، عبد المشيح هو مَن أنشأ الدير، لا مَن رمّمه فقط.
راجع: Assemani, *Bibl. Or.*, t. III, p. 198; b, p. 718
من ناحية أخرى، لمزيد من المعلومات في شأن هندسة كنائس الحيرة القديمة،
راجع: D. Talbot Rice, «The Oxford Excavations at Hira», *Ars Islamica*, I (1943) 51-73.

(١١) أُطلق على السينودس المذكور اسم «سينودس مار إسحق»، ووقّع وثائقه ثمانية وثلاثون أسقفًا. راجع: Chabot, *Syn. Or.*, p. 274-275 et 616

(١٢) تبعًا لسيرة القدّيس سمعان العموديّ، التي كتبها بالسريانيّة سمعان ابن أبرلون وبرحتار ابن أردّن (ينسبها السمعانيّ إلى Kouzma ou Cosmas, cf. *Bibl. Or.*, t. I, p. 247-248)، أنّ القدّيس تراءى لنعمان في إحدى الليالي ووبّخه بشدّة. ويُقال إنّ الملك روى الحادثة لضابط رومانيّ اسمه أنطيوخُس، ابن سابينُس حاكم دمشق،=

الرواية، فلا شكّ أنّ النعمان أدرك أنّ اعتناق المسيحيّة لا يؤثّر في ولاء عرب مقاطعته له ولحلفائه الفرس[١٣].

٣. المسيحيّة في ظلّ حكم المنذر الأوّل (٤١٨-٤٣٣)

آزر المنذرُ الأوّل، ابن النعمان، الجيشَ الفارسيّ في معاركه مع الرومان وحلفائهم[١٤]، وقام بدور رائد في تأمين وصول بهرام الخامس غور، الذي نشأ في بلاط الحيرة، إلى العرش الفارسيّ عام ٤٢٠، كما

=الذي التقاه في الصحراء في زمن هدنة، وأنطيوخُس هو مَن قصّها على الرواة الذين أضافوا أنّ النعمان لم يعتنق المسيحيّة خوفًا من ملك الفرس أزدجرد الأوّل، وأنّ كلّ ذلك حدث بين العام ٤١٣ (لم يكن القدّيس قد اعتزل على عموده قبل هذا التاريخ) والعام ٤١٨، تاريخ وفاة النعمان. وثمّة رواية أخرى تفيد أنّ النعمان هجر قصره في الليلة اللّاحقة لترائي القدّيس له، ولم يره منذ ذاك الحين أحد. ولربّما يعود أصل هذه الرواية إلى الشاعر المسيحيّ الحيريّ عدي بن زيد، الذي نظّم قصيدة في سجنه حوالى العام ٦٠٠، ذكر فيها تلك الرواية. ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ قصيدته تلك فلسفيّة أكثر منها تاريخيّة. راجع: Rothstein, *Lahmiden* (1899), p. 66-67. على أنّ ما يمكن استخلاصه من هاتَين الروايتَين هو أنّ النعمان عامل المسيحيّين بالتسامح.

(١٣) ثمّة رواية ثانية، يوردها السمعانيّ، عن اهتداء النعمان إلى المسيحيّة، تُدرج في سياق الروايات الخرافيّة الكثيرة والمتشابهة التي شاعت بين قبائل العرب في ذلك الزمان: «والنعمان ابن المنذر، ملك العرب، كان شديد التمسّك بدين الحنفاء (يجب أن تُفهم كلمة حنيف هنا بمعناها السريانيّ، أي الوثنيّ، لا بمعناها المسلم)، يعبد العوزى وهو كوكب الزهرة. فلحقته ضربة من الشيطان، ولم ينفعه كهنته بشيء. فشفاه شمعون (= سمعان) أسقف الحيرة، وصبريشوع، أسقف لاشوم، وإيشوع زخّا الراهب. فتنصّر واعتمد وولداه، المنذر والحسن، بعده. وكان الحسن أشدّهم تمسّكًا بالنصرانيّة، وكان لا يمانع تقدّم المناكين إليه إذا دخل البيعة (= الكنيسة)»، راجع: Assemani, *Bibl. Or.*, t. III, p. 109

(١٤) هجر أحد القادة العرب الملقّب بـ«الحارث» الحدود الفارسيّة، ولجأ إلى فلسطين حيث اعتمد وأتباعه، وأصبح لاحقًا الأسقف بطرس. وقد تمّ ذلك في أعقاب اضطهاد شنّه الكهنة المزديّون، في نهاية عهد يزدجرد الأوّل (٤١٩)، على المسيحيّين. وعندما رفضت السلطات الرومانيّة تسليم المسيحيّين الفارّين إلى الفرس، نشبت المعارك. راجع في شأن تلك الوقائع:
Socrate, *Histoire ecclésiastique*, VII, 18, in: P.G. t. LXVII, col. 777; Theophanes, *Chronographia*, éd. J. Classen, Bonn, I, 132; cf. Trimingham, *Christianity* (1990), p. 190.

دعمه في حملته بهدف اجتياح سورية والاستيلاء على أنطاكية. غير أنّ الجيش الرومانيّ العربيّ شتّت جيوشهما قرب الفرات عام ٤٢٢، فسارعا إلى عقد الصلح.

على أثر تلك الحروب، قام المنذر بدور رائد في إحلال السلام بين بهرام، ملك فارس، والكنيسة المزديّين الذين عارضوه. أمّا في شأن الكنيسة، التي تحسّنت أوضاعها، فقد عُقد سينودس في مَرْكَبْتَه[١٥] عام ٤٢٢، دعا إليه دَديشوع، جاثُليق سلوقية، الذي أراد تقديم استقالته، وقد شارك في السينودس أسقف من الحيرة اسمه سمعان. صدر عن ذلك السينودس القرار الشهير الذي يمنع تدخّل الآباء الغربيّين في شؤون كنيسة فارس، ويحرّم اللجوء إلى بطريرك أنطاكية لنقض قرارات الجاثُليق.

على الأرجح أنّه ملك بعد المنذر ابناه، النعمان الثاني (حوالى ٤٣٣-٤٥٢)، والأسود (حوالى ٤٥٢-٤٩٢)، الذي لا نعرف عنهما الكثير، ولا عن المسيحيّين في ظلّ حكمهما. ولكنّ المعلومات المتوفّرة تفيد أنّ الأسود تزوّج إحدى بنات عمر بن حُجْر، رئيس اتّحاد الكندة. وفي عهده، جرت محاولة لتعيين الحدود بين مقاطعات الرومان والفرس (٤٨٥-٤٨٦)، في أعقاب غزوات متبادلة قامت بها القبائل. فأُلّفت لجنة، شارك فيها الأسود نفسه ودوق رومانيّ ومرزُبان فارسيّ وبرصَومَه النسطوريّ أسقف نصيبين، عيّنت الحدود وأضرمت معاهدة[١٦].

---

(١٥) لم يحدّد موقع تلك المدينة بعد، ولعلّها «مَبركه» حيث دفن الشهيد جاورجيوس عام ٦١٥، والقريبة من سلوقية. وُصفت تلك المدينة بمدينة «الطيّابه»، مثلما وُصفت الحيرة، أي مدينة العرب الرحّل. ولا شكّ أنّ قسمًا من سكّانها كان مسيحيًّا، ولذا اختاروا الجاثُليق مكانًا لعقد السينودس. أمّا تاريخ انعقاده، الذي ظنّ بعضهم أنّه ٤٣٠، فيحتاج إلى تحديد. شارك في السينودس، الذي حمل اسم دَديشوع، ستّة وثلاثون أسقفًا، قدّموا في بداية اجتماعهم توسّلًا إلى الجاثُليق لكي يعود عن استقالته، راجع:

Guidi, *Zeitschr. Der deutschen morgenland. Gesellschaft*, t. XLIII, p. 410, et d'après lui par Rothstein, *Lahmiden* (1899), p. 23-24; cf. Chabot, *Syn. Or.*, p. 285 et 611.

(١٦) Trimingham, *Christianity* (1990), p. 191

وفي الواقع، لقد خلقت الحروب المستمرّة بين الفرس والبيزنطيّين جوًّا مؤاتيًا لتأجّج الخلافات والغزوات المتبادلة بين القبائل العربيّة المناصرة للطرفَين. وثمّة رسالة بعث بها أسقف نصيبين برصَومَه، عام ٤٨٤، إلى الجاثُليق النسطوريّ أكاسيُس تعطي صورةً جليّة عن حقيقة الأوضاع[١٧].

وفي وقت لاحق أسر الفرسُ الأسودَ، ربّما بسبب تمرّده عليهم، فتسلّم الحكم بعده أخوه المنذر الثاني (٤٩٢-٥٠٠)[١٨].

أ - الأسقف سمعان

كان لمسيحيّي الحيرة، في ظلّ حكم المنذر الثاني، أسقف اسمه سَمعان، غير الأسقف سمعان الذي ذُكر في العام ٤٢٤، لأنّ هذا ما كان

---

(١٧) «إنّنا نعيش في بلاد (نصيبين)، كثر الذين يحسدونها من دون أن يعرفوها، والذين لا يريدون لها الاستقرار، كما أنّ العوائق في وجه ازدهارها متعدّدة، ولا سيّما في الوقت الراهن. فمنذ ستين ونحن نعيش حالة تحطّ ونقص في الأشياء الأساسيّة. وجماعات قبائل الجنوب تجمّعت فيها، وبسبب كثرة أولئك القوم ووفْرة مواشيهم، فقد خرّبوا قرى السهل والجبل ونهبوها، وتجرّأوا على نهب الناس والحيوانات، حتّى في الأراضي اليونانيّة. وقد جمع اليونانيّون جيشًا كبيرًا على الحدود، يرافقه عربهم، وطالبوا بتعويض عمّا ألحقه العرب التابعين للفرس في أراضيهم. فاحتواهم الحاكم الفارسيّ في نصيبين بحكمته، واقترح أن يجمع زعماء العرب الفرس ويستعيد منهم الغنائم والأسرى، ما أن يعيد العرب اليونانيّون المواشي والأسرى التي أخذوها في غزواتهم المتعدّدة في بلاد بيت غرماي وأديابين Beit Garmai et Adiabène ونينوى، ومن ثمّ يعيّنون الحدود بواسطة معاهدة حتّى لا تكرّر هذه المساوئ وسواها. وفي أثناء المحادثات، ذهب القائد اليونانيّ وضبّاطه الكبار حتّى إلى نصيبين ليزوروا الحاكم الفارسيّ. فاستقبلهم استقبالًا كريمًا. ولكن إذ كانوا يأكلون معًا ويشربون ويتسلّون، بلغهم أنّ أربعمائة خيّالًا عربيًّا فارسيًّا هاجموا قرى بعيدة في الأراضي اليونانيّة ونهبوها. فاتّهم اليونانيّون الحاكم الفارسيّ بأنّه أوقعهم في فخّ، ومنذ ذلك الحين بقيت الأوضاع على حالها...». راجع: Chabot, *Syn. Or.*, p. 532-534

(١٨) يذكر هشام أنّ المنذر الثاني اعتلى العرش في ٤٨٢، ولكن يجب تصحيح هذا التاريخ بسبب وجود فارق عشر سنوات. ذلك بأنّ الأحداث التاريخيّة التي يسردها هشام تُظهر نقصًا لمدّة عشر سنوات حتّى ملك النعمان الثالث. راجع: Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1223.

ليعمّر كلّ تلك السنين. شارك سمعان «الثاني» في مجمع سلوقية الذي ترأسه الجاثليق أكاسيُس، ووقّع على وثائقه التي كرّست النسطوريّة عقيدة للكنيسة الفارسيّة، وأرغمت على زواج الكهنة والشمامسة، باستثناء الرهبان والراهبات[١٩].

وفي الواقع، اعتنق مسيحيّو الحيرة، بوجه الإجمال، النسطوريّة، كما تدلّ عليه أعمال المجامع اللّاحقة، ويذكره المسعوديّ[٢٠].

ب - الأسقف إلياس

عُقد في تشرين الثاني ٤٩٧، سينودس آخر في سلوقية ترأسه الجاثليق بَبّي، وشارك فيه إلياس أسقف الحيرة. جدّد المجتمعون تمسّكهم بالقرارات التي سبق أن اتُّخذت عام ٤٨٦، مشدّدين على امتيازات جاثليق سلوقية. وهذا يبيّن ثبات أساقفة الحيرة على الإيمان النسطوريّ[٢١].

٤. النعمان الثالث (٥٠٠-٥٠٣)

خلف النعمان الثالث بن الأسود، عمّه المنذر، وحفلت ولاية حكمه، التي دامت أربع سنوات، بالحروب مع الرومان، وهي حروب اتّخذت في البدء شكل غزوات[٢٢]، ثمّ تحوّلت مع قوّاد، ملك الفرس

---

(١٩) لا نعلم هل شارك سمعان «الثاني» في المجمعَين اللذين انعقدا قبل مجمع عام ٤٨٦. فقد عُقد مجمع في بيت لبّت Beit Lapat في نيسان ٤٨٤. ولكن بين الأساقفة الذين أبلغهم برصَومه أنّه رفض المجمع، وبين أولئك المؤيّدين له، نقرأ اسم سمعان. إضافة إلى ذلك، لا نعلم هل كان أحدهما أسقف الحيرة أم لا. أمّا مجمع بيت إدراي Beit Edrai، فلا نملك أسماء جميع المشاركين في أعماله. راجع:
Chabot, *Syn. Or.*, p. 299, 301, 306, 531.

(٢٠) راجع: المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٣١٤ و٣٢٨.

(٢١) بلغ عدد الأساقفة المشاركين، بمَن فيهم الجاثليق، ستّة وثلاثين أسقفًا، راجع:
Chabot, *Syn. Or.*, 310-311, 315.

(٢٢) بدأت الحرب كغزوات تمكّن أوجينُس حاكم إقليم الفرات من ردعها، وأنزل هزيمة بالعرب أتباع الفرس على ضفاف الفرات. راجع:
Rothstein, *Lahmiden* (1899), p. 70.

(٤٨٨-٥٣٠)، إلى حرب حقيقيّة[٢٣]. وقد حارب النعمان، الذي كان في عداد رجاله مسيحيّون، إلى جانب سيّده الفارسيّ، وأخذ على عاتقه مهمّة مهاجمة حرّان والرّها، فدمّرهما وسبى عددًا كبيرًا من سكّانهما. وفي أثناء غيابه وجيشه عن مقاطعته، أقدم عرب قريبين من غسّان ومن ثعالبهم، على مهاجمة قافلة كانت تتّجه إلى الحيرة، فسطوا عليها، الأمر الذي أثار جنون النعمان. وثمّة رواية أخرى تفيد أنّ الثعالبة هاجموا الحيرة، فدخلوها ونهبوها، فاضطرّ عرب النعمان إلى العودة، وكان ذلك على الأرجح في تشرين الأوّل ٥٠٢[٢٤].

أمّا النعمان، الذي توفّي متأثّرًا بجرح أُصيب به في معركة خابور بالقرب من قرقيسية، فالروايات تعدّدت واختلفت في شأن موقفه من المسيحيّين. فثمّة رواية تُظهره بعيدًا كلّ البعد عن تسامحه معهم. فإبّان محاصرته الرّها، أفصح له ضابط مسيحيّ في جيشه عن استحالة دخول المدينة بسبب وعد قطعه السيّد المسيح نفسه. فأخذ النعمان للوقت يوجّه التهديدات إلى سكّان المدينة، ويلعن ويجدّف على المسيح، حتّى آل به غضبه إلى تفتّح جرحه ثانية، فمات ينزف دمًا عام ٥٠٣[٢٥].

وهنالك رواية ثانية تبيّن أنّ النعمان كان يشارك في صلوات أيّام الآحاد في دير إلى جنوب الحيرة يحمل اسم ابنته «اللجّة»، وإن لم يكن قد تعمّد هو نفسه[٢٦].

---

(٢٣) لقد افتعل قوّاد، ملك الفرس، تلك الحرب ليبلغ هدفَين: الأوّل، أن ينتقم من الإمبراطور أنسطاس الذي رفض أن يمدّه بالعون المالي، والثاني، أن يثبّت هيبته تجاه أشراف قومه بعد أن خلعه أخوه زَمْسب عن العرش لمدّة ستّين.

(٢٤) راجع:
Josué le Stylite, *Chronique*, L-LII, LVII, édit. Wright (1882), p. 38-40 et 45.

(٢٥) راجع:
Josué le Stylite, *Chronique*, LVII-LVIII, édit. Wright (1882), p. 46-47.

(٢٦) أبو عبد البكري، معجم ما استعجم، طبعة صقاع، ٤ أجزاء، القاهرة: ١٩٤٥-١٩٥١، ج ٢، ص ٥٩٥-٥٩٧، وياقوت، معجم، ج ٢، ص ٥٣٠-٥٣١.
أمّا في شأن الدير، فقد أنشأه كاهن من الحيرة اسمه بر سَهْدي، يُقال إنّه مَن عمّد مار آبا. راجع: Scher, *Histoire nestorienne*, t. VII, p. 155 et 170

عيّن قوّاد أبا يَعْفُر بن عَلْقَمَة بن عدي خليفةً للنعمان، وهو من اللخميّين المسيحيّين، ولكن لم ينتمِ إلى العائلة الحاكمة. وتبعًا لياقوت، هو أبو يعفر مَن أنشأ الدير الذي يحمل اسمه[٢٧]. دام حكمه ستّين، ثمّ انتقل العرش ثانية إلى السلالة مع المنذر الثالث.

٥. المنذر الثالث (٥٠٥-٥٥٤)

تميّز زمن حكم المنذر الطويل بكثرة الحروب، وإن كان قد بدأ بإضرام معاهدة سلام بين البيزنطيّين والفرس. كانت والدة المنذر الثالث مسيحيّة، عُرفت باسم ماء السماء، كما تزوّج هو نفسه مسيحيّة هي هند ابنة الحارث الكنديّ، شيّدت ديرًا في الحيرة في ظلّ حكم ابنها عمر.

تبعًا لبعض المؤرّخين، اعتنق المنذر المسيحيّة الأرثوذكسيّة في العام ٥١٣. وقد أرسل إليه ساويرُس الأنطاكيّ أسقفَين مونوفيزيَّين علّهما يستميلانه إلى إيمانهما، غير أنّهما فشلا في مهمّتهما.

يُروى أنّ الملك أصغى إليهما، ثمّ تظاهر بالكآبة لأنّه سمع مَن يقول إنّ ميخائيل رئيس الملائكة مات. فسارع الأسقفان يطمئنّانه إلى أنّ رئيس الملائكة لا يخضع لسلطان الموت. فعقّب الملك حينذاك عليهما بقوله إنّه كم بالأحرى لا يمكن التسليم بأنّ ألوهيّة المسيح، المتّحدة بإنسانيّته بطبيعة واحدة، قد ماتت على الصليب[٢٨].

= وقد دَفن مار آبا تلميذٌ اسمه قيوري الزّهويّ أنشأ مدرسة في دير أقامه حول قبره، اسمه دير الأسكون. راجع: ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٤٩٤ و٤٩٨: أيضًا: Scher, *Histoire nestorienne*, t. VII, p. 170-171, XIII, p. 546-550.

(٢٧) ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٥٢٤.

(٢٨) لم يكن جواب الملك جديدًا، ولا يمكن أن يُنسب ابتكاره إليه. فقد بيّن الباحث غويدي أنّه بعد العام ٥١٣ بقليل، كتب فيلوكسين المنبجي رسالة إلى رهبان تيلنا Têlêda ضمّنها جواب الملك، وقدّمها كعقيدة مألوفة، ولم يأتِ لا على ذكر الملك، ولا الظروف التي ولد فيها ذلك الردّ. راجع:
Zeitschrift der deutschen morgenland. Gesellschaft, t. XXXV, p. 142-146, et Théodore le Lecteur, *Histoire ecclésiastique, II, 35, in:* P.G., t. LXXXVI, col. 204; cf. Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1226.

من المستبعد أن يكون المنذر مسيحيًا أرثوذكسيًا، لا نسطوريًا، فذلك يخالف معتقد رجال الدين المسيحيّين الرسميّين في الحيرة. إضافة إلى ذلك، نستطيع أن نشكّ حتّى في انتماء المنذر إلى المسيحيّة بسبب أعماله التي سيأتي الكلام عليها لاحقًا. فالمثبّت تاريخيًا هو أنّ المنذر أظهر سياسة تسامح تجاه المسيحيّين في بداية عهده، وأذن بتشييد الكنائس، كما ذكر أبو الفدى[٢٩]، وشجّع النسطوريّة.

أ - محاولات إدخال المونوفيزيّة الحيرة

أمّا في شأن محاولات إدخال المونوفيزيّة الحيرةَ، فهي، في الواقع، لم تتوقّف. فالمدعوّ سمعان، قبل أن يصبح أسقف بيت عرشم، بشّر بالمونوفيزيّة في الحيرة، وسجّل نجاحًا محدودًا، كما شيّد بعض الكنائس. ثمّ توجّه إلى بلاد فارس حيث لاقى نجاحًا أكبر ممّا لَقِيه في الحيرة، إلّا أنّ نشاطه تضاءل بعد أن بلغ ملك الفرس أنّ المونوفيزيّة محاولة بيزنطيّة تهدف إلى النيل من النسطوريّة الفارسيّة، لا سيّما وأنّ بيزنطية طالما اعتبرت النسطوريّة هرطقة.

وإضافة إلى نشاط المجادل سمعان، قام بعض رهبان أميدا Amida المونوفيزيّين، الذي شتّتهم اضطهاد بيزنطية، بالتبشير بمعتقدهم في شبه الجزيرة، وبلغ بعضهم أقصى الجنوب (٥٢٠-٥٢١). وفي الحقيقة، تدفّق عدد كبير من الرهبان المونوفيزيّين على منطقة الحيرة عقب اضطهاد يُسطيُس الأوّل، فخيّرهم الجائليق شيلا (٥٠٣-٥٢٧) بين تبنّي النسطوريّة أو الرحيل. وبالرغم من دعم الحجّاج بن قيس، أحد أصدقاء المنذر، لهم، فقد أُكرهوا على اعتماد الحلّ الثاني، فارتحلوا إلى نجران[٣٠].

---

(٢٩) يذكر أبو الفدى أنّ المنذر تنصّر وبنى العديد من الكنائس الرائعة. ولربّما استقى معلوماته، التي أوردها في مؤلّفه الجغرافية (طبعة رينو، باريس: ١٨٨٩، ص ٢٩٦)، من الإدريسيّ. والغريب أنّ أبا الفدى لا يأتي على ذكر شيء من هذا القبيل في مؤلّفه تاريخ ما قبل الإسلام.

(٣٠) تفيد بعض الروايات أنّ الجائليق شيلا خيّر الرهبان أيضًا أن يناظروه، ولكنّ المونوفيزيّين رفضوا اقتراحه. إلّا أنّ شيلا، رغبة منه في أن يساير المنذر،=

وعندما شارف عهد المنذر على نهايته، بُذلت جهود مضنية لترويج المونوفيزيّة في الحيرة، ممّا جعل الجاثُليق مار آبا يمضي السنة الأخيرة من أسقفيّته (توفّي ٥٥٢) وهو يسعى لإعادة بعض مسيحيّي منطقته إلى النسطوريّة[٣١].

ومن جهة أخرى، قدم إلى الحيرة، في أواخر عهد المنذر، أسقف اسمه سرجيوس على بدعة الرؤيويّين المونوفيزيّة[٣٢]، رسمه الأسقف أُتروبُس، الذي لم يُرسم تبعًا للأصول، بل من طريق وضع يد جثّة الأسقف بروكوبُس. ولكن يصعب علينا تحديد تاريخ قدوم الأسقف بدقّة،

=عرض على الملك أن يرأس المجادلة أسوة بالملوك الفرس. فطرح ثيلا على الرهبان أسئلة بحضرة المنذر، قال: «ما قولكم؟ هل اتّخذ الله الكلمة جسدًا من مريم أم أنّ شخصه الإلهيّ تحوّل إلى جسد؟ وإذا سلّمتم بالاتّحاد الحاصل في المعنى الثاني، مَن يكون الذي بدأ يوجد في الأحشاء، الذي حُبل به، والذي وُلد، والذي عطش، والذي بكى، والذي مات وقبر؟» فلم يكن لديهم ما يجيبون به. على أنّ المونوفيزيّين يروون مجادلة انتصروا هم بها. والملفت في كلّ هذا هو أن نرى الملوك اللخميّين الوثنيّين يُختارون حُكّامًا في مجادلات لاهوتيّة. راجع:
Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 40-41.

(٣١) تبعًا لتاريخ عَمْر وماري، توفّي هذا الأسقف في الحيرة في ٢٩ شباط ٥٥٢ ودفن فيها، ولكنّ هذه المعلومة ترتقي إلى زمن متأخّر. راجع:
Les chroniqueurs Amr et Mare, *Liber Turris*, édit. Gismondi, t. I, p. 24; t. II, p. 45.
إلّا أنّه على الأرجح أنّ الجاثُليق قد دُفن في الحيرة، لأنّ هنالك رواية ثانية تتكلّم على ذلك. فبحسب تلك الرواية، هدى مار آبا، الذي كان في بلاط خسرو، الكثير من البراطقة (= المونوفيزيّين) إلى الإيمان القويم، الذين قدموا ليروه ويرافقوا ملك العرب الذي أتى يقوم بواجباته تجاه ملك الملوك. وقد أدّت هذه الاهتداءات إلى قيام علاقات قويّة بين مار آبا والحيرة. لذا، بعد موت الجاثُليق بقليل، نقل تلميذه قيورا جثمانه إلى الحيرة ودفنه فيها. ثمّ، تمّ تشييد دير على قبره. راجع:
Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 41.
فضلًا عن ذلك، هو قيورا المذكور مَن أنشأ مدرسة في الحيرة، من تلاميذها الشيخ عبدا، ربّي كاتب الحاكم الفارسيّ على الحيرة، الذي اعتنق الحياة النسكيّة. راجع:
Scher, *Histoire nestorienne*, t. XIII, p. 546-550.

(٣٢) تنزّع تلك البدعة من بدعة يوليانُس الهليكرنّسي، وتُختصر عقيدتها بأنّ جسد يسوع كان غير قابل للفساد. ولقد تسبّبت تلك التعاليم بانشقاق داخل الكنيسة المصريّة عقب وفاة البطريرك تيموثاوس الرابع عام ٥٣٦. راجع:
Trimingham, *Christianity* (1990), p. 194.

لأنّنا نجهل تاريخ وفاة بروكوبُس التي كانت بضع سنوات بعد ٥٤٩. قصد سرجيوس بلاد الحميريّين أيضًا، وأمضى فيها ثلاث سنوات روّج في أثنائها تعاليمه التي لاقت قبولًا، ولا سيّما في منطقة نجران. وفي الحقيقة، دامت اليوليانيّة طويلًا في تلك الأصقاع، فتيموثاوس الأوّل يشير في إحدى رسائله عام ٧٨٠ عن عودة ثلاثين كنيسة يوليانيّة إلى النسطوريّة(٣٣).

ب - الكنيسة النسطوريّة

على أثر وفاة الجاثُليق شيلا (٥٢٧)، حصلت أزمة حول مَن يخلفه على كرسيّ سلوقية. وكان الجاثُليق المذكور قد عيّن قبيل وفاته صهره ألبشع خليفةً له، إلّا أنّ فريقًا من الأساقفة، من بينهم نرسيس، أسقف الحيرة، رفضوا التعيين، وسمّوا «نرسيس» جاثُليقًا، ومن الممكن أن يكون هذا أسقف الحيرة نفسه. غير أنّ اللوائح لا تأتي على ذكره، ولا على ذكر منافسه. توفّي نرسيس عام ٥٣٥.

وفي المقابل، استمرّت حميّة النساطرة الرسوليّة، وبدت الحيرة مركزًا ينطلق منه المرسلون ليبشّروا القبائل الرحّل ويؤسّسوا الأديار. ففي حوالى العام ٥٤٠، ازدهرت الحياة النسطوريّة الديريّة في منطقة أنبار، التي سبق أن زارها مار آبا، بفضل دير مار يونا الذي رأسه الراهب عبد المسيح الحيريّ(٣٤). كما كان لدير جبل سنجار، إلى شمال الحيرة، تأثير كبير في نشر النسطوريّة، وقد ازدهر على نحو خاصّ في بداية القرن السابع(٣٥).

---

(٣٣) Letters 27 and 41 of Timothy I: *Epistolae*, ed. O. Braun, in: C.S.C.O. N° 74L Syr. 30 (1914) 102.

(٣٤) راجع:
Assemani, *Bibl. Or.*, t. III, p. 198.

(٣٥) يشهد على ازدهار هذا الدير ميثاقُ رهبان بَر قيطي، ورسالة الجاثُليق صبريشوع إلى رئيسي ديرين هما بَركيشوع وآبا. راجع:
Chabot, *Syn. Or.*, p. 461 et 465.

ج - موقف المنذر الثالث من المسيحيّين

لقد عامل المنذر المسيحيّين، إبّان غزواته المناطق الواقعة تحت سيطرة الرومان (٥١٨ و٥٢٨ و٥٢٩)، بوحشيّة قلّ نظيرها. فقد دمّر الكنائس والأديار ولم يرحم لا الرهبان ولا الراهبات. وثمّة مَن يخبر عن أنّه قدّم لآلهته العوزة ذبائح بشريّة. فقد قرّب لها أميرًا أرمنيًّا، وابن الحارث بن جبله الغسّانيّ عدوّه، الذي أسره وهو يرعى غنمه حوالى ٥٤٥، كما قرّب أربعمائة راهبة أسرهنّ في كنيسة الرسول توما في إيميزا (حمص)، بناءً على شهادة الناسك دادا الذي أُسر هو أيضًا[٣٦]. ولكنّ الذين نقلوا أخبار هذه الفظائع كانوا من خصومه، لذا يجب التعامل مع معلوماتهم بحذر[٣٧]. ولكن من المؤكّد أنّ جيشه لم يوفّر المسيحيّين في غزواته، كما أنّه كان متعبّدًا للعوزة شأن أسلافه.

وثمّة حادثة أخرى تُظهر قلّة تعاطفه مع المسيحيّين، حصلت حوالى العام ٥٢٤، عندما أرسل الإمبراطور يُسطيانُس إليه بعثةً ضمّت إبراهيم، والد المؤرّخ نونوس، وسرجيوس، أسقف الرُّصافة، والكاهن أبرامُس، ورجال دين آخرين وعلمانيّين، كما كان بينهم سمعان المونوفيزيّ، أسقف بيت عرشام. كان هدف البعثة التفاوض مع المنذر بغية إطلاق سراح قائدين رومانيّين أسرهما في إحدى حملاته. ولمّا لم يجده أعضاء البعثة في الحيرة، جدّوا في إثره حتّى أدركوه في هُفْهُفْ (الحسا)، بالقرب من الخليج الفارسيّ. وإبّان اجتماعهم به جاء مَن سلّم المنذر رسالةً من ذي نوّاس يخبره فيها عن إقدامه على إعدام مسيحيّي نجران، ويطلب إليه أن يحذو حذوه[٣٨]. ولم يتردّد المنذر بأن أعلن تعاطفه مع ذي نوّاس، وأعلن

---

(٣٦) Michel le Syrien, IX, 16, trad. Chabot, t. II, p. 178-179.

(٣٧) راجع:
Trimingham, *Christianity* (1990), p. 193.

(٣٨) ارتقى ذو نوّاس العرش الحميريّ عام ٥٢٢ وكان متهوّدًا. هاجم المناطق التي كان يحتلّها الحبش، أي المنطقة الساحليّة لمرفأ المُخا ومنطقة ظَفَار، فاحتلّها ودمّر كنائسها وقتل ١٤ ألفًا من سكّانها. ثمّ استغلّ حوادث عنف تعرّض لها يهود نجران ليهاجم المدينة التي وعد سكّانها بالأمان والسلام إن استسلموا، فلمّا=

لجنوده أنّه يؤيّد العمل الإجراميّ، ولكنّه لم يقم بخطوات مماثلة في مناطقه[٣٩].

وفي المقابل، وفي ذلك مفارقة لافتة، يبدو أنّ المنذر كان متسامحًا مع مسيحيّي مناطقه، وربّما مع جميع الأديان. فهل عداؤه طال المونوفيزيّين في مناطق أعدائه فقط؟ مهما يكن من أمر، فقد شُيّدت كنائس وأديرة عديدة في ظلّ حكمه، وقد دوّن المؤرّخون وعلماء الجغرافية العرب أسماء بعضها[٤٠].

لَقِي المنذر حتفه في معركة الحجار، داخل سوريا الأولى، مع الحارث بن جبلة الغسّانيّ في ٥٥٤.

٦. عمر بن المنذر (٥٥٤- حوالى ٥٧٠)

أراد عمر أن يتابع سياسة أبيه التي انتهجها مع البيزنطيّين، وكانت تقوم على إعانات ماليّة يتقدّمها الملك البيزنطيّ له شرط أن يبقى على

=فعلوا دخلها وارتكب فيها مجازر رهيبة. راجع:
Jacques Ryckmans, «Le christianisme en Arabie du Sud Préislamique», in: *L'Oriente christiano nella storia Acad. Lincei, quaderno n° 62* (Rome: 1964), p. 413-453.

(٣٩) يذكر الحادثة الأسقف سمعان، راجع:
«La lettera di Simeone vescovo di Beth Arsam sopra I martiti Oneriti», ed. I. Guidi, in: *Mémoire della Accademia dei Lincei*, ser. III, 1881, VII, p. 417-515.
غير أنّ المقاطع، في رسالة سمعان، التي تأتي على وصف وحشيّة المنذر، غير مبيّنة. راجع في شأن الرسالة:
Guidi (éd). *Atti della reale Academia dei Lincei*, 1887, t. VII, p. 471 sq.

(٤٠) يذكر ياقوت الأديرة التالية في الحيرة ومنطقتها: دير ابن بَرّاق (بظاهر الحيرة)، ودير ابن وضّاح (بنواحي الحيرة)، دير الأسكون (بالحيرة)، ودير بني مرينا (بظاهر الحيرة)، ودير الحريق (بالحيرة)، ودير حنظَلَة (بالحيرة)، ودير حنّة (بالحيرة)، ودير الشّوا (بظاهر الحيرة)، ودير علقمة (بالحيرة)، ودير اللُّجّ (بالحيرة)، ودير مار فايشون (بالحيرة أسفل النجف)، ودير ما عبدا (بنواحي الحيرة)، ودير هند الصغرى (بالحيرة)، ودير هند الكبرى (بالحيرة). كما يذكر «ديارات الأساقف» في أوّل الحيرة، وهي، في الغالب، أماكن سكن الأساقفة. راجع: ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٤٩٦-٥٤٢. راجع أيضًا: أحمد الشابشتي، كتاب الديارات (طبعة عوّاد، بغداد: ١٩٥١).

الحياد في حال اندلاع حرب مع الفرس. وبالرغم من أنّ جواب البيزنطيّين كان أنّ تلك المساعدات هي هبة لا أساس قانونيّ لها، فقد سدّدها يُسطينُس عام ٥٦٢. ولكنّ يُسطينُس الثاني ألغاها عام ٥٦٦. فكان ردّ عمر أنّه هاجم أراضي المنذر الغسّانيّ(٤١).

أمّا في شأن انتماء عمر إلى المسيحيّة، فهو أمر غير مؤكّد. كانت والدته هند مسيحيّة، وساهمت في بناء كنيسة دير في منطقة الحيرة حمل اسمها، وفي النقش التذكاريّ نجدها تسمّي ابنها «عبد المسيح»(٤٢). ولكنّ عمر حمل أيضًا لقب «المحرّق» أسوةً بلخميّين عديدين، وقد يكون هذا اسم آلهة وثنيّة قديمة(٤٣)، أو يعود إلى تقليد يفيد أنّ عمر حرق مائة رجل أحياء من قبيلة واحدة قتل أحد أعضائها أخاه(٤٤).

مات عمر مقتولًا على يد زعيم قبيلة تغلب، الشاعر عمر بن كلثوم، بعد أن حاول عمر أن يذلّ والدته(٤٥).

---

(٤١) Ménandre le Protecteur, édit. De Bonn, p. 292-292 (Justin), et 358-359, 369-370 (Justinien).

(٤٢) قد لا يعبّر النقش إلّا عن رغبة الملكة لا أكثر. وبالمناسبة نشير إلى أنّ أسقف الحيرة حينذاك يُذكر في النقش، وهو أفرائيم، وهذه معلومة ثمينة، لا سيّما وأنّه لم يشارك أيّ أسقف من الحيرة في أعمال المجامع بين ٤٩٩ و٥٨٥، لأسباب نجهلها. راجع:
Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1228.
أمّا مضمون النقش، فقد أورده ابن الكلبي، ونقله عنه الطبري وياقوت: «بَنَت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة، بنت الملوك وأمّ الملك عمر ابن المنذر، أمةُ المسيح، وأمُ عبده، وبنت عبيده، في مُلك مَلك الملوك خسرو أنشروان، في زمن مار إفرائيم الأسقف، فالإله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحّم عليها وعلى ولدها، ويقبل بها ويقومها إلى إقامة الحقّ، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر». راجع: ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٥٤٢.

(٤٣) Rothstein, *Lahmiden* (1899), p. 46-48

(٤٤) Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1228

(٤٥) راجع: الأصفهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ١٨٢.

٧. قابوس شقيق عمر (٥٧٠؟-٥٧٨)

خلف قابوس، الذي نجهل دينه، شقيقه عمر على العرش، وبدأ عهده بهزيمة أنزلها به المنذر الغسّانيّ بموقعة عين أُباغ في ٢٠ أيّار ٥٧٠. إلّا أنّ الخلاف الذي نشب بين المنذر وبيزنطية في وقت لاحق، وسببها محاولة يُسطينُس قتل المنذر، أفسح في المجال لقابوس بالانتقام، فوصلت إحدى غزواته حتّى أنطاكية. ولم يتأخّر الغسّانيّ، الذي عقد صلحًا وقتيًّا مع البيزنطيّين، من القيام بهجوم معاكس بعد أن كان قد التزم الحياد، فبلغ الحيرة عام ٥٧٨ وأضرم فيها النار، ولم يوفّر في هجومه إلّا الكنائس والأديار[٤٦]. وقد مات قابوس في ذلك التاريخ.

في أعقاب تلك الأحداث، أدار شؤون الحيرة موظّف فارسيّ اسمه سهراب، قبل أن يُعيّن المنذر الرابع، شقيق قابوس، ملكًا. لم يدم حكم المنذر، الذي حافظ على عبادة اللاّت والعوزة[٤٧]، إلّا حوالى السنتين أو الثلاثة (٥٨٠-٥٨٢/٥٨٣).

٨. النعمان الثالث بن المنذر

نشأ النعمان الثالث، الذي خلف أباه على العرش، في عائلة زيد بن حمّاد المسيحيّة التميمة، التي ربطته بها علاقات متينة بفضل المساعدة التي قدّمها إليه عدي بن زيد ليصل إلى الحكم. ذلك بأنّ إخوته، ولا سيّما الأسود منهم، قاموا يطالبون بالعرش بعد موت أبيهم، فترتّب على النعمان تأمين المال اللّازم ليستميل به إليه أصحاب القراو في بلاد فارس.

---

(٤٦) يبدو أنّ أسباب تقلّب سياسة المنذر تجاه حلفائه البيزنطيّين يعود إلى كونه يعقوبيًّا وحاميًا لليعاقبة (بالرغم من أنّ إخوته يظهرون شديدي الوفاء للأرثوذكسيّة الخلقيدونيّة، راجع: Charles, *Christianisme des arabes* (1936), p. 66, note 1). ولقد حاول البيزنطيّون القضاء عليه بالحيلة فلم يفلحوا. ولكنّهم أسروه، في ظلّ حكم موريتيوس، ونقلوه إلى القسطنطينيّة، ثمّ نفوه إلى صقلّية. راجع: Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 63-64.

(٤٧) راجع: الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ١٠، حيث نجده يُقسم بالآلهة اللاّت والعوزة.

فاقترض عدي المال من الأسقف جابر بن سمعان من عائلة أوس بن قلّام. ويُقال إنّ الأسقف أعطى سائله ثمانين ألف درهم بدلًا من أربعين ألفًا طلبها، كما أذن بأن تُقام حفلة تنصيب الملك في إحدى الكنائس[٤٨].

أ - مسألة تنصّر النعمان

من المؤكّد أنّ النعمان اعتنق المسيحيّة، غير أنّ الروايات التي تتناول الحدث متضاربة. تبعًا لإيفاغرُس[٤٩]، تحوّل النعمان إلى النسطوريّة بعد أن استعاد الساسانيّ خُسرَو الثاني أبرويز (٥٩٠-٦٢٦) عرشه من الثائر بهرام بمساعدة الإمبراطور موريقيوس. وبالتالي، يكون تنصّره قد تمّ حوالى ٥٩٢[٥٠]. كما أنّه أمر بصهر تمثال الآلهة العوزة وتحويله إلى سبائك، بعد أن كان في عداد الملوك الذين قرّبوا إلى تلك الآلهة ذبائح بشريّة[٥١].

ولكنّ رواية ثانية وردت في كتاب الأغاني تجعلنا نعتقد أنّه اعتنق المسيحيّة قبل أن اعتلى العرش. فالرواية تقول إنّ عدي، في ظلّ حكم المنذر الرابع، تزوّج إحدى بنات النعمان التي رآها يوم خميس الأسرار

(٤٨) راجع: الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ١٨ و٢٦ و٣١. راجع التفاصيل في: Rothstein, *Lahmiden* (1899), p. 109-11 - «أهذا كلّ شيء؟» أجاب الأسقف، «ها، خذ ثمانين ألفًا». الأغاني، ج ٢، ص ١١٥.

(٤٩) Evagrius, *Hist. Eccl.*, VI, 22, in: P.G., t. LXXXVI, col. 2397; cf. Aigrain, *Arabie (1922), col. 1229.*

(٥٠) يقول مدوّن تاريخ سعرت الأخباري النسطوريّ إنّ ذلك حصل في السنة الرابع من حكم خسرو، ثمّ يروي كيف أنّ شيطانًا استولى على النعمان، وعبثًا حاول الكهنة الوثنيّون طرده، فطلب النعمان مساعدة جابر، أسقف الحيرة، وصبريشوع، أسقف لاشوم، فطردا الشيطان باسم يسوع المسيح. راجع:
Scher, *Histoire nestorienne*, t. XIII, p. 468-469 et 478-481.
ويرى المؤرّخ عمر بن متّى أيضًا أنّ الفضل في اهتداء النعمان يعود إلى الأسقفَين المذكورين. وهذا هو الأسقف صبريشوع الذي أصبح جاثليقًا في وقت لاحق.

(٥١) من المؤكّد أنّ النعمان أقام مسلّتين علامة تكفير عن إقدامه على قتل صديقَين له في لحظة نال السكر منه. ولمّا كانت هاتان المسلّتان موضوع روايات خرافيّة كثيرة، فمن المحتمل أن تكونا دليلًا على الذبائح البشريّة التي قدّمها. راجع:
Rothstien, *Lahmiden* (1899), p. 140-141; Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1229.

تتقدّم لتناول القربان المقدّس في الكنيسة. لذا، إن صحّت الرواية، يمكن اعتبار العائلة كلّها مسيحيّة منذ ذاك الحين[٥٢].

إضافة إلى ذلك، تختلف الروايات في شأن مذهبه، فكلّ من المونوفيزيّين والنساطرة يدّعي انتماء النعمان إلى مذهبه. فقد عدّه ابن العبري يعقوبيًّا، وقال إنّ إيشوعياب[٥٣]، الجاثليق النسطوريّ، بذل قصارى جهده ليستميله إلى مذهبه[٥٤]. ولكن من الصعب أن نسلّم بصحّة هذه الرواية، لأنّ النعمان ما كان ليقدم على اعتناق مذهب يرى فيه حلفاؤه الفرس خطرًا بيزنطيًّا، وإن كان هنالك، في ظلّ حكمه، مونوفيزيّون في الحيرة.

ب - أسقفيّة سمعان

إنّ جهلنا تاريخ اهتداء النعمان لا يجيز لنا بأن نحدّد تاريخ أسقفيّة سمعان في الحيرة، ولا أن نعرف شيئًا عن علاقته بالأسقف جابر بن سمعان الذي أقرض النعمان المال. بيد أنّ اسم سمعان يرد في سيرة الشهيد جِوَرجِس، الذي اعتنق المسيحيّة ورسمه سمعان الحيرة كاهنًا في أبرشيّته، واستشهد في سلوقية عام ٦١٥ بناءً على أمر خسرو أبرويز.

وفي الواقع: يصعب تثبيت لائحة بأسماء أساقفة الحيرة النساطرة منذ إفرائيم[٥٥].

---

(٥٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ١٢٨-١٣٠.

(٥٣) توفّي هذا الجاثليق في الحيرة (٥٨١-٥٩٥)، بعد أن لجأ إليها هربًا من خسرو، ذلك بأنّه كان قد حابى الثوّار. وقد رتّبت شقيقة النعمان، هند، دفنًا احتفاليًّا له في كنيسة دير شيّدته هي وشقيقتها ماريًا. راجع:
Scher, *Histoire nestorienne*, t. XIII, p 438.
وفي الواقع، دُفن ستّة جاثالقة نساطرة في الحيرة. راجع:
Trimingham, *Christianity* (1990), p. 199, note 124.

(٥٤) راجع:
Bar-Hebraeus, *Chronicon Ecclesiasticum*, éd. et trad. Par Abbeloos et Lamy, t. III, col. 105.

(٥٥) ثمّة أسقف على الحيرة نذكره هو يوسف، شارك في أعمال السينودس الذي عقده إيشوعياب في سلوقية. راجع: Chabot, *Syn. Or.*, p. 423.

ج - نشاط أحودمّه في منطقة الحيرة

رسم يعقوب البردعي أحودمّه، الذي تحوّل من النسطوريّة إلى المونوفيزيّة، مِفريانًا (نائبًا بطريركيًّا) في تكريت، وبدأ نشاطًا رسوليًّا في منطقة الحيرة. عُرف عنه سيرته المستقيمة وفصاحته المقنعة وتمكّنه من الفلسفة والنحو. ويحسب بعض المؤرّخين اليعاقبة، أفحم الجاثليق النسطوريّ، ونال إعجاب خسرو أنوشروان نفسه(٥٦). ولكنّه عندما أفلح في اجتذاب أحد أبناء خسرو، واسمه جرجس، إلى الإيمان المونوفيزيّ، أُلقي في السجن، وأُعدم عام ٥٧٥(٥٧).

د - نهاية حكم النعمان

مهما يكن من أمر انتماء النعمان إلى النسطوريّة، فتصرّفاته كانت

=أمّا سيرُس عام ٥٩٦، الذي رأسه صبريشوع، فلم تُحفظ أسماء المشتركين فيه. راجع:
Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1230

(٥٦) Cf. Michel le Syrien, IX, 30; X, 16, trad. Chabot, t. II, p. 251, 339

(٥٧) راجع «Ahudemmeh», in: D.H.G.E, t. I, col. 1087» كُتب في شأنه: «كان من بلاد العرب وعزم على تبشير الشعوب العديدة التي كانت تعيش تحت الخيام بين الفرات ودجلة، والتي كانت من البربر والقتلة. فحطّم الأوثان واجترح المعجزات. بعضهم في مضارب الخيام لم يتركوه يترب منهم، ورموا عليه الحجارة. ولكنّه شفى ابنة زعيم مخيّم، فذاع خبر المعجزة وسهّل ذلك عليه رسالته. فحرص بصبر كبير على أن يمرّ بجميع مضارب خيام العرب، وكان يعلّمهم ويثقّفهم بخطب عديدة. كما أنّه لم يوقف صومه الكامل ولا صلواته وأسهاره. جمع بحميّته كهنة، واستقطب آخرين من بلاد كثيرة، وهدف إلى إقامة كاهن وشمّاس في كلّ قبيلة. وأسّس الكنائس في القبائل وأعطاها أسماء رؤساء قبائلها... ثمّ ثبّت قلوب العرب في ممارسات التقوى الكاملة، وبوجه خاصّ في الإحسان إلى المعوزين... فطالت حسناتهم جميع الناس، ولا سيّما الأديار المقدّسة التي لا تزال إلى الآن تحظى بدعمهم في حاجاتها الزمنيّة: دير مار متّاي المقدّس والإلهيّ، ودير كوكتا، ودير بيت سرجيس، وجماعة الرهبان التي تقيم في جبل سنجار، وجميع الأديار المقدّسة الأخرى التي تقع في بلاد الرومان والفرس... وأحبّوا الصوم والحياة الزهديّة أكثر من جميع المسيحيّين... وعندما بلغوا الكمال في جميع التقاليد المسيحيّة، تركهم (أحودمّه) وذهب ليشيّد البيت الجميل «بيلرتا»، في وسط بيت عَرباي، في وقع اسمه عين قِينايَه...»، راجع:
Patr. Or., t. III, p. 19-32

أبعد ما تكون عن أبسط متطلّبات الإيمان المسيحيّ. فقد اتّخذ أكثر من زوجة، وتزوّج زوجة أبيه، أرملة المنذر الرابع، «متجرّدة». إضافة إلى ذلك، أظهر نكران جميل رهيب تجاه عدي بن زيد، فحسده وأعدمه، ولم يستطع خسرو أبرويز إنقاذه[٥٨].

ثمّ بدأت المشاعر العداوة تنمو بين خسرو والنعمان منذ مصرع عدي، أجّجتها حادثتان لاحقتان: فقد رفض النعمان أن يعير حصانه الملك الساسانيّ في إحدى المعارك، كما رفض أن يزوّج ابنته من ابن الملك، قائلًا إنّه لن يعطي ابنته إلى رجل من دون دين على مثال الحيوانات. ولكن نجح خسرو في اجتذابه إلى بلاطه، فأودعه السجن. وتوفّي فيه مسمومًا حوالى ٦٠٢. نُقل جثمان النعمان لاحقًا إلى الحيرة، ودفن في دير هند.

هـ - الحيرة في ظلّ السيطرة الفارسيّة المباشرة

أبعد خسرو السلالة اللخميّة عن الحكم، وعيّن مسيحيًا من قبيلة طيء، هو إيّاس بن قبيسة، أميرًا على الحيرة، في ظلّ سيطرة فارسيّة مباشرة[٥٩]. وإبّان حكم إيّاس، أنزل عرب قبيلة بكر بن وائل هزيمة بالفرس وأتباعهم من قبيلة الطيء في موقعة «ذو قار» الشهيرة حوالى ٦٠٥، فخلقوا بذلك وضعًا جديدًا، حينما برهنوا عن قدرتهم بإلحاق الهزائم بجيوش منظّمة ذات خبرات طويلة في فنون القتال. وفي ٦١١، عيّن الفرس الفارسيّ أزدبده حاكمًا على الحيرة بدلًا من إيّاس، وبقي في وظيفته حتّى الفتح الإسلاميّ.

بعد هجرة محمّد، استمرّت سلسلة الأساقفة النساطرة على الحيرة. فكان هنالك يوحنّا في القرن الثامن، وبوثيل في العام ٧٩٠، ويوسف

(٥٨) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٩٣-٢٠١. يأتي تدخّل خسرو لإنقاذ عدي لأنّ عائلة هذا ساعدته إبّان هربه عام ٥٩٠.
(٥٩) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٣.

ويوحنّا بن نزوك في القرن العاشر، وهذا أصبح جاثليقًا عام ١٠١٢[٦٠].

استسلمت الحيرة لخالد بن الوليد، في العام ١٢هـ، من دون إراقة دماء، بناءً على اتّفاق نصّ على الحفاظ على جميع كنائس الحيرة[٦١].

٩. تأثير مسيحيّي الحيرة النساطرة على محيطهم

لقد كان لمسيحيّي الحيرة النساطرة تأثير في انتشار إيمانهم في شبه الجزيرة وبين القبائل العربيّة المحيطة بمدينتهم، وذلك من طريق التبشير والاتّصال الثقافيّ[٦٢].

ولا شكّ أنّه كان للرهبان والنسّاك، ولا سيّما ما أظهره بعضهم من قدرات فائقة الطبيعة، التأثير الأكبر في القبائل الرحّل التي اعتنقت المسيحيّة. كما اضطلع بعض مسيحيّي الحيرة بأدوار مهمّة في الرعايا المسيحيّة المجاورة، وتأثيرهم دام بعد القرن السادس.

ففي القرن السابع، عيّن الجاثليق النسطوريّ إيشوعياب الثاني (٦٢٨-٦٤٦) المدعوّ برصَومَه، وهو مسيحيّ من مدرسة الحيرة، أسقفًا على نصيبين[٦٣]. وفي القرن السابع أيضًا، طلب الجاثليق النسطوريّ

---

(٦٠) Chabot, *Syn. Or.*, p. 673

(٦١) في شأن استسلام الحيرة، راجع: طبري، تاريخ، ج ٣، ص ٣٤٣-٣٤٥ و٣٦٠-٣٦١.

(٦٢) أسّس ساويرُس، الكاتب النسطوريّ، مدرسة لاهوتيّة في الحيرة في القرن السادس. ومن ناحية أخرى، يُروى أنّ الشاعر ميمون بن قيس، الملقّب بـ«الأعشى»، الذي انطلق من يمامة وجال في العربيّة، أخذ من عباد الحيرة، كما من اسقف نجران، الإيمان التوحيديّ والإيمان باليوم الآخر، وإن لم يصبح مسيحيًّا (يذكر الأصفهاني بوضوح أنّه أخذ أفكاره الدينيّة عن العباد، مسيحيّي الحيرة: الأغاني، ج ٧، ص ٧٩). كما أنّ بعضهم، أمثال النابغة الزبيانيّ، مرّوا بتلك المدينة قاصدين الغساسنة، والتقوا مسيحيّيها. إضافة إلى أنّه كان في الحيرة مدرسة شعراء مسيحيّين، من أبرز وجوهها عديّ بن زيد، وأبو دُعاد الإيادي، وأوس بن حجر، وجرير بن عبد المسيح.

(٦٣) لقد انتقد هذا الأسقف الجاثليق بعنف، واتّهمه بأنّه اتّفق في القسطنطينيّة مع الخلقيدونيّين. ولكنّ الجاثليق تقبّل الاتّهامات بصبر وتواضع، ثمّ ساد السلام=

جِوَرجِس (٦٦١-٦٨١) إلى أحد تلامذة مدرسة الحيرة أن يتدخّل ليصالحه مع أسقف نصيبين[٦٤].

ويذكر إيشوعَدْنَخ، أسقف البصرة حوالى نهاية القرن الثامن، اثنين من سكّان الحيرة أسّسا ديرَين في الشمال، هما دير مار إلياس في جبال الموصل، ودير مار يوحنّا عرب المعرّي، في جبل إزالة[٦٥].

الخاتمة

دامت النسطوريّة في الحيرة والمناطق المحيطة بها في ظلّ الحكم الإسلاميّ، كما دامت المؤسّسات الديريّة، الرجّاليّة منها والنسائيّة. فابن العبريّ يتكلّم على دفاع الأسقف يوحنّا المذكور أعلاه، الذي عاش في زمن الخليفة عبد الملك (توفّي ٧٠٥)، عن مكرّسات أراد الخليفة أن يضمّهنّ إلى حريمه[٦٦]. فالحيرة، منذ زمن هند، كانت معروفة بالأديرة النسائيّة[٦٧]. وباختصار، كانت الكنيسة النسطوريّة جيّدة التنظيم، تمتاز بحميّة رسوليّة، وتتمتّع بعلاقة خاصّة مع اللخميّين، الأمر الذي سهّل نشر عقائدها بين القبائل. ولكنّها لم تستطع أن تؤثّر كبيرًا في قبائل الصحراء السوريّة حيث كان للمونوفيزيّة انتشار واسع[٦٨].

=بين الرجلين. راجع:
Patr. O., t. XIII, p. 560-579.

(٦٤) كان أسقف نصيبين المذكور يحمل اسم جِوَرجِس أيضًا، وهو مَن اتُّهم لدى الأمير العربيّ بأنّه لا يسافر إلّا ليجمع الذهب. فطلب الأمير إليه أن يعطيه ذهبًا وسجنه وعذّبه عندما أجابه أنّه لا يملك شيئًا. فكان ردّ فعل الأمير أنّه دمّر عددًا من الكنائس في منطقة عَقرلة والحيرة. أمّا جِوَرجِس، فقد عرف عنه حسن سيرته واستقامته، ولم يعتبر مسؤولًا عن الخراب الذي لحق بكنائس الحيرة، لأنّه دُفن في تلك المدينة إلى جانب الجاثليق مار آبا. راجع:
Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 42-43.

(٦٥) Jésus-Denah, *Le livre de la chasteté*, éd. et trad. Chabot, Rome, 1896, p. 12, n° 19 and p. 25, n° 46.

(٦٦) Le Quien, *Oriens*, t. II, col. 1171

(٦٧) هنالك مَن يذكر اسم ديرَين داما طويلًا، راجع:
Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 44.

(٦٨) Charles, *Christianisme des arabes* (1936), p. 61-64

فالكنيسة النسطوريّة، على خلاف الكنيسة المونوفيزيّة، لم تنفصل كهنة ومرسلين عهدت إليهم بتبشير القبائل وبالاحتفال بالأسرار فيها، بل ركّزت على تأسيس الكنائس في المدن والمراكز الحضريّة. والسبب في ذلك أنّ توسّعها لم يكن محصورًا بحدود الصحراء والحدود البيزنطيّة الفارسيّة، كما هو حال المونوفيزيّة.

أمّا المونوفيزيّون، الذين وصلوا إلى بلاد ما بين النهرين بعد النساطرة، فلم يحظوا بدعم اللخميّين السياسيّ، بل دعمهم الغساسنة الموالين لبيزنطية. وبالرغم من عدم ملاءمة الظروف، فقد تأسّسوا في الحيرة، ووصلوا إلى بلاد فارس، وما لبثوا أن اتُّهموا بموالاتهم لبيزنطية، وبالتالي تعرّضوا للاضطهاد. وليكما يبعدوا الشبهة عنهم، عَمدوا، أسوة بالنساطرة، إلى تأسيس كنيسة مستقلّة عن أنطاكية في جميع الأراضي الخاضعة لحكم الفرس. وكانت كرسيّ الكنيسة في تكريت، حمل رئيسها، ابتداءً من عام ٦٢٩، لقب «مَفريان».

وعلى غرار الكنيسة النسطوريّة، استمرّت مؤسّسات الكنيسة المونوفيزيّة طويلًا في ظلّ الحكم الإسلاميّ[٦٩]. ونعلم أنّ أسقف الحيرة اليعقوبيّ، جَورجِس، كتب مؤلّفات نفيسة عدّة باللغة السريانيّة في مطلع القرن الثامن.

إنّ استمرار المسيحيّة، الموفوفيزيّة والنسطوريّة على السواء، مدّة تتعدّى ٣٠٠ سنة بعد نشأة الإسلام، تجعلنا ندرك أنّ المسيحيّة كانت متأصّلة في الحيرة والقبائل التي تدور في فلكها، على الرغم من الظروف الصعبة التي سيطرت على تلك المناطق بسبب النزاعات بين الفرس والبيزنطيّين وأنصارهم من قبائل العرب، وهي نزاعات أثّرت حتمًا في أوضاع المسيحيّين.

(٦٩) بعد الفتح الإسلاميّ، مرّت الكنيسة المونوفيزيّة بأزمة حادّة بين البطريرك يوليانُس ومفريان تكريت دِنحا. فالبطريرك أراد بسط نفوذه على جميع مناطق انتشار المونوفيزيّين بما أنّ سبب الانقسام قد زال، الأمر الذي أثار حفيظة المفريان. ولكنّ سينودسًا انعقد وناصر البطريرك.